مبادئ النظرية الوظيفية 2

نصوص من كتاب المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتدادات

أحمد المتوكل

- **النص السادس:**

القدرة اللغوية:

«ما يقصد عامة بالقدرة اللغوية (في مقابل الانجاز) المعرفة التي يختزنها المتكلم – السامع عن طريق الاكتساب والتي تمكنه من إنتاج وتأويل عدد غير متناه من العبارات السليمة.

يمكن القول إن الاتفاق شبه حاصل على أمرين هامين اثنين : لزوم التمييز بين قدرة المتكلم المجردة وبين إنجاز هذه القدرة الفعلي أثناء الانتاج أو الفهم وأن ما يجب أن يكون موضوعا للوصف اللغوي هو القدرة دون الإنجاز.

إلى جانب الاتفاق حول هذين المبدأين، يود اختلاف ملحوظ بين التيار الصوري والتيار الوظيفي حين يتعلق الأمر بالمقصود بقدرة المتكلم – السامع وفحواها يمكن تلخيصه كما يلي:

(أ) تنحصر القدرة لدى منظري التيار الصوري في المعرفة اللغوية الصرف في مجموعة القواعد الصرفية-التركيبية والدلالية والصوتية.

وقد تضاف إلى هذه المعرفة اللغوية معرفة عامة فيتحدث عن قدرتين، "قدرة نحوية" و "وقدرة تداولية " على أساس أن القدرة الثانية مفصولة فصلا تاما عن القدرة الأولى وعلى أساس أن القدرة الأولى وحدها يمكن أن تتخذ موضوعا للدرس اللغوي.

(ب) أما التيار الوظيفي فلا يميز بين قدرة نحوية وقدرة تداولية وإنما هي قدرة تواصلية واحدة تضم إضافة إلى معرفة النسق اللغوي في حد ذاته معارف أخرى سبق أن أشرنا في فقرة سابقة إلى طبيعتها وهي المعارف السياقية الآنية والمعارف السياقية العامة.» ص 26 -27

- **النص السابع:**

الأداتية وبنية اللغة:

«لكل المبادئ الستة التي عرضنا لها في الفقرات السابقة أهميتها في تعريف المنحى الوظيفي في الدرس اللغوي وفرزه عن المنحى الصوري. إلا أن أهم مبادئ المنحى الوظيفي على الإطلاق هو ماله صلة بعلاقة أداتية اللغة وبنيتها، بعلاقة وظيفة التواصل بالنسق اللغوي.

- **مشروعية الوظيفة**

ترمي كل النظريات اللغوية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها، حديثة كانت أم قديمة، إلى دراسة بنية اللغة مستويات ومكونات وعلائق.

إذا كان هذا هو المرمى الأساسي فلا مشروعية للحديث عن الوظيفة إلا إذا كانت تؤثر تأثيرا دالا في البنية.

حول مشروع الأخذ بالوظيفة في الدرس اللغوي، انقسمت الآراء بين من ينكرها ومن يقول بها ويدافع عنها.

(أ) أهم ما يدفع به من ينكر مشروعية الأخذ بالوظيفة في الدرس اللغوي أن بنية اللغة نسق مجرد كما سبق أن أشرنا إلى ذلك تحكمه مبادئه وقواعده الخاصة ويتسنى بالتالي لدراسة اللغة أن يصفه في معزل تام عن أي شيء آخر كما يتسنى لعالم الإحياء أن يصف مكونات القلب وبنيته في استقلال عن وظيفة ضخ الدم.

(ب) أما أهم ما يحتد به القائلون بمشروعية الأخذ بالوظيفة فهو أن بنية اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنجاح التواصل وأهدافه ومختلف أنماطه.

- **البنية والتواصل الأمثل:**

«من المعلوم أن عملية التواصل تقتضي ثلاثة عناصر أساسية : متكلما ومخاطبا وخطابا ينتجه المتكلم ويؤوله المخاطب كما توضح ذلك الترسيمة التالية :

متكلم ← خطاب ← مخاطب

إنتاج تأويل

تكون عملية التواصل ناجحة إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطب وبين تأويله وهو ما يسعى المتكلم في تحقيقه (في حالات التواصل).

يمكن إرجاع العوائق البنيوية إلى ما ينتج عن ثلاث عمليات هي الحذف والإضافة والنقل.

- **البنية وأهداف التواصل:**

يرمي المتكلم من وراء خطابه إلى تحقيق هدفين أساسيين: إما إضافة معلومة غير متوافرة في مخزون المخاطب أو تعويض إحدى معلومات المخاطب بمعلومة يعتقد المتكلم أنها المعلومة الواردة.

(أ) يظل المكون الحامل للمعلومة المراد إضافتها إلى مخزون المخاطب محتلا لموقعه "الأصلي" داخل الجملة لا يميزه عن باقي المكونات إلا نبره...

(ب) أما حين يكون الخطاب مقصودا به تقييد معلومة من معلومات المخاطب أو تصحيحا فإن المكون الحامل للمعلومة المقيدة أو المصححة يرد مصحوبا بإحدى أدوات التقييد أو متصدرا للجملة أو مفصولا.» ص32

- **البنية وأنماط التواصل:**

للخطاب أنماط مختلفة كما هو معلوم كالخطاب العلمي والخطاب الفني والخطاب الحجاجي والخطاب السردي وغير ذلك.

ويحدد نمط الخطاب تضافر مجموعة من الوسائط أهمها أربعة هي: موضوع الخطاب وهدفه وبنيته وأسلوبه. ما نريد أن نشير إليه هنا هو أن موضوع الخطاب وهدفه يحددان بنيته وأسلوبه. بتعبير آخر، يأخذ الخطاب البنية والأسلوب اللذين يناسبان ويخدمان موضوعه وهدفه . فليس للخطاب الحجاجي البنية والأسلوب اللذين للخطاب السردي أو الخطاب الوجداني ص 32

- **النص الثامن:**

الأداتية وتطور اللغة:

إذا ثبت لدينا أن وظيفة التواصل تتحكم بقسط وافر في بنية اللغة تزامنيا فإنه يصبح من المنطقي أن نتوقع أنها تسهم أيضا في تطورها.

تبين لنا في مكان آخر (المتوكل 2005ب) أن بنية اللغة تنزع إلى الشفافية وأن هذا النزوع هو الأصل في اللغة لأنه يخدم التواصل ونجاحه.

وتكمن الشفافية في الفصل الصرفي-التركيبي بين المجال العلاقي (التداولي) والمجال التمثيلي (الدلالي) وفقا للترسيمة (14).

قد يطرأ على بنية اللغة عبر تطورها ما يفقدها شفافية بنيتها أو بعضا من هذه الشفافية فينمحي الفصل بين المستويين العلاقي والتمثيلي إلا أنها سرعان ما تبدأ في السعي في استعادة شفافيتها المفقودة تحاشيا للتعتم المخل بالتواصل. ص 33-34

- **النص التاسع: الاداتية والكليات اللغوية:**

لكل نمط من اللغات خصائصه التي ينفرد بها وتميزه عن غيره من الأنماط وتتطلب أن يوضع لكل نمط نحوه الخاص. إلا أن للسان الطبيعي خصائص عامة تتقاسمها اللغات على اختلاف أنماطها وهو ما يسمى "الكليات اللغوية".

إذا كانت الكليات اللغوية في النظريات اللسانية ذات المنحى الصوري كليات صرفية - تركيبية ودلالية فإنها تجمع في النظريات اللسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة ، بين بنيات معينة وما تسخر هذه البنيات لتأديته من أغراض تواصلية . بتعبير أدق ، يمكن القول إن ما يجمع بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات أو تختلف في التراكيب التي يتوسل بها في تحقيق هذه الوظائف. ص 35

- **النص: العاشر:**

الأداتية واكتساب اللغة:

يفطر الطفل باعتباره كائنا بشريا على مجموعة من المبادئ العامة – هي ما أسميناه الكليات اللغوية – تمكنه بمعونة محيطه من اكتساب لغة معينة، لغة العشيرة اللغوية التي ينمو فيها.

حسب المقاربة الوظيفية، لا يكتسب الطفل قدرة لغوية محضة بل قدرة على التواصل مع محيطه الاجتماعي، لا يتعلم أصوات لغته وصرفها وتركيبها بل يتعلم معها ما تؤديه

من أغراض تواصلية.

بتعبير آخر يكتسب الطفل في محيط اجتماعي معين نسقين مترابطين، نسق اللغة ونسق استعمالها معا. ص 36

- **النظرية الوظيفية المثلى:**

نفترض أن النظرية الوظيفية المثلى هي المقاربة التي تجمع كل المنطلقات والأهداف المتوخاة وتبني جهازها الواصف على أساس السعي في مجاوزة كفاية الوصف إلى كفاية التفسير وبعدهما الكفاية الإجرائية التي تخول ولوج القطاعات الاجتماعية الاقتصادية كالترجمة وتعليم اللغات والاضطرابات النفسية – اللغوية إضافة إلى وصف اللغات وتنميطها ورصد تطورها. ص 54

- **نص:**

النظرية الوظيفية المثلى:

ما نصطلح عليه بالنظرية الوظيفية المثلى هنا هو مجموعة من المواصفات نستخلصها مما تطمح إليه النظريات ذات المنحى الوظيفي وتجتهد في تحقيقه أو في تحقيق القسط الأوفر منه. ص 43

نستطيع أن نقول إن النظرية الوظيفية المثلى، من حيث المنطلق هي النظرية التي تجمع المبادئ العشرة التي عرضنا لها في الفقرة 1-10.

إنها بتعبير أدق، النظرية التي تنطلق من مبدأ أداتية اللغة مرجعة مبادئها إلى وظيفة التواصل وتؤسس على هذا المبدأ وصف بنية اللغات صرفا وتركيبا وصوتا وتطورها وهي كذلك النظرية التي تجعل من وظيفة التواصل أساسا للبحث في إشكالات التنظير اللساني الكبرى كإشكال اكتساب اللغة وإشكال الكليات اللغوية . ص 44